الهمة وعلوها في سورة الكهف - دراسة قرآنية موضوعية –

Energy and height in the Cave - study Koranic objective

الدكتور .صلاح علي مضعن المحمدي

الجامعة العراقية – كلية الشريعة

D.Salah Ali Amadan Al- Mohammadi

Iraqi University - College of Sharia

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهدوا أن لا اله الا الله وحده لأشريك له، واشهدوا أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم، علوم القرآن الكريم، وما يتعلق بها من علوم العربية بعامة، إذ يتصف هذا العلم بعلوّ قدره وسموّ شأنه، فقد ظل القرآن الكريم المعين الذي يستقي منه المفسرون افكارهم وأساليبهم بوصفه المرجع الأساس لتفاسيرهم، ومن هذا المنطلق يمم المفسرون أقلامهم تجاه هذا الكتاب العزيز، يفسرونه ويقعّدون من خلاله تفسيرهم للآيات القرآنية، ويرسون الأسس على كافة المستويات.

لقد وجدت في القرآن الكريم ضالتي التي كنت ابحث عنها، ورأيت فيه محوراً لدراستي؛ ذلك لأن أسلوب القرآن الكريم جدير بالبحث، وقد وقع الاختيار على دراسة :(الهمة وعلوها في سورة الكهف دراسة قرآنية – موضوعية)، وكان الباعث على هذه الدراسة هو معرفة الدروس والعبر التي جاءت في سورة الكهف، كون هذا اللون من الدراسة لم يبحث بحثاً شاملاً من قبل، وإنما كانت هناك دراسات جزئية لبعض من جوانب هذا الموضوع .

وفي هذا البحث أقوم في ذكر جوانب من علو همة الأنبياء من خلال القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة، ففي أولها تجيء همة أصحاب الكهف، وبعدها همة أصحاب الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء همة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها همة ذي القرنين.

وقد اقتضت خطة البحث أن يكون على مقدمة ذكرت فيها سبب اختياري للموضوع، وكذلك مشكلة البحث وكذلك منهجي في عرض الدراسة ومن ثم قسمَّت البحث على مبحثين وعلى عدة مطالب:

المبحث الأول: مفهوم الهمة فهو على ثلاث مطالب تناولت فيه:

المطلب الأول: تعريف علو الهمة.

المطلب الثاني: أساليب القران الكريم في الحث على علو الهمة والتحذير من سقوطها.
المطلب الثالث: المطلب الثالث: التعريف بالسورة.
المبحث الثاني: الدروس التي جاءت في سورة الكهف، وقد تضمن ثلاث أربعة مطالب:
المطلب الأول: قصة الفتية.
المطلب الثاني: قصة صاحب الجنتين.
المطلب الثالث: توجيه الله لنبيه يعبا بالأسباب.
المطلب الرابع: قصة نبي الله موسى عليه السلام نجد فيها الدروس التالية لأصحاب الهمم العالية.
ثم كانت الخاتمة تناولت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث، والمصادر والمراجع التي اعتمدتها في البحث.
فاللهم ضع لهذا البحث القبول في الأرض، وافتح لي أبواب مغفرتك، وسهرني عما نامت عنه أعين الغافلين، وارزقني إتباع سنة نبيك ﷺ ، والشوق أليك، ولذة النظر إلى وجهك الكريم.

المبحث الأول: مفهوم الهمة.

المطلب الأول: تعريف علو الهمة.

أولاً: الهمَّة في اللغة:

قَال أهل اللغة: الهمَّة: فِعلة من الهَمّ ، وهو مبدأ الإرادة ، ولكن خصُّوها بنهاية الإرادة، والهمُّ مبدؤها، والهمة نهايتها[1].

وفي المصباح: الهمّة ؛ بالكسر: العزم، وقد تُطلق على العزمِ القوي، فيقال: له هِمّة عالية[2].

وفي لسان العرب: الهَمّة والهِمَّة: ما همَّ به من أمر ليفعله، وتقول: إنه لصغير الهِمَّة، وإنه لبعيد الهِمَّة والهَمَّة بالفتح[3].

ثانياً: الهمَّة في الاصطلاح :

وعرفها ابن القيم بقوله:(علو الهمة ألا تقف أيا لنفس دون الله وألا تتعوض عنه بشيء سواه ولا ترضى بغير هبد لأمنه ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به والفرح والسرور والا

---

١ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر: ١٣/٦، مادة (هم).

٢ -ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة:٣٤٩/٥، مادة (هم).

٣ -ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة/ الثالثة، (١٤١٤ هـ):٦١٣/١٢، مادة:(هم).

بتهاجبهبشيءمنالحظوظالخسيسةالفانية،فالهمةالعاليةعلىالهممكالطائرالعاليعلىالطيورلايرضىبمساقطهمولاتصلإليهالآفاتالتيتصلإليهم،فإنالهمةكلماعلتبعدتعنوصولالآفاتإليها،وكلمانزلتقصدتهاالآفات)[٤].

وعرفها الجرجاني بقوله:(الهم: هو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل، من خير أو شر، والهمة: توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره)[٥].

المطلب الثاني

أساليب القران الكريم في الحث على علو الهمة والتحذير من سقوطها:

قد تواردت نصوص القرآن على حث المؤمنين على ارتياد معالي الأمور، والتسابق في الخيرات، وتحذيرهم من سقوط الهمة، وقد تنوعت أساليب الهمة القرآن الكريم في ذلك:

أولاً: في ذم ساقطي الهمة وتصويرهم في أبشع صورة :

كما ذكر الله علينا من قصص في قول موسى عليه السلام لقوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[٦].

فالمتأمل لهذه الآيات فالله تعالى يصف اليهود وكيف كان حالهم الذين انزل عليهم التوراة والتي فيها بيان أمر محمد ﷺمثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها[٧]، منها

---

٤ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت :١٧١/٣ .

٥ - التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني،(المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة/ الأولى، (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م):٢٥٧.

٦ -سورة الأعراف أية :١٧٥-١٧٦.

٧ - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة/ الأولى،(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م):٧٣٣/٢٣، وتفسير القرآن الحكيم

قوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾[8]، وقال في وصف أشباههم في قوله تعالى :﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١ ﴾[9]، يعني ألممتم فلم تعلموا، فما ذلكم بدليل[10]، وفي حين انه امتدح يعقوب عليه السلام بقوله تعالى :﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾[11]، أي: يعمل بما علم وكل ذلك بفضل الله[12].

ثانياً: ثناؤه سبحانه على أصحاب الهمم العالية وفي طليعتهم الأنبياء والمرسلون، وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل وعلى رأسهم خاتمهم محمد ﷺ:

فقد جاء في قوله تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾[13]، وقد ارتسمت همتهم العالية في مواظبة وكفاحهم ورجوتهم

(تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(١٩٩٠ م):٣٤٢/٩.

٨ -سور الجمعة آية:٥.

٩ -سورة الأنعام آية: ٩١.

١٠ -ينظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة/ الثالثة ،(١٤٢٠ هـ):٦٣/١٣.

١١ -سورة يوسف آية:٦٨.

١٢ -ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة/ الأولى،(١٤٢٢ هـ):٢٥٣/٤، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة/ الثالثة (١٤٠٧ هـ):٤٤/٢.

١٣ -سورة الاحقاف آية:٣٥.

الى الله عز وجل كما أوضحه الله عز وجل في قصص الأنبياء كنوح وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[١٤].

كما قص الله تعالى في مواقف الهمة العالية على المؤمنين من أتباع الأنبياءعليهم السلام كما في قصة موسىعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾[١٥].

وقال الرازي في تفسيره:(إنما جزم هذان الرجلان في قولهما فإذا دخلتموه فإنكم غالبون لأنهما كانا جازمين بنبوة موسى عليه السلام، فلما أخبرهم موسى عليه السلام بأن الله قال: ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم لا جرم قطعا بأن النصرة لهم والغلبة حاصلة في جانبهم، ولذلك ختموا كلامهم بقولهم وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين يعني لما وعدكم الله تعالى النصر فلا ينبغي أن تصيروا خائفين من شدة قوتهم وعظم أجسامهم، بل توكلوا على الله في حصول هذا النصر لكم إن كنتم مؤمنين مقرين بوجود الإله القادر ومؤمنين بصحة نبوة موسى عليه السلام)[١٦].

وكانت الهمة العالية لمؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، وكما في قصة حبيب النجار في سورة يس، وأيضا في قصة داود وجالوت: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ ﴾[١٧].

ثالثًا: أنه عبر سبحانه عن أوليائه الذين كبرت همتهم بوصف الرجال في مواطن البأس والجلد والعزيمة والثبات على الطاعة، والقوة في دين الله:

١٤ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة / الثانية ،(١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م):٢٥٢/١١.

١٥ -سورة المائدة آية:٢٣.

١٦ - مفاتيح الغيب:٣٣٤/١١.

١٧ -سورة البقرة آية:٢٥٠.

فقال عز وجل:﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[١٨].

كان فيه رجال بعلو همتهم يعمرونه بالاعتكاف وإقامة الصلاة وذكر الله وتسبيحه فيه بالغدو والآصال، يحبون أن يتطهروا بذلك من كل ما يعلق بأنفسهم من درن الآثام، أو التقصير في إقامة دعائم الإسلام[١٩].

وفي قوله تعالى :﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٢٠].

وقال ابن عجيبة في تفسيره:(فالمؤمنون وأهل اليقين زادوا ثقة، وعلى الأعداء جرأة، ولحكم الله استسلاماً، وفي الله قوة، شكر صنيعهم في المراس، ومدح يقينهم عند شهود الناس، وسماهم رجالا إثباتا لهم بالخصوصية في الرتبة، وتمييزا لهم من بين أشكالهم بعلو الحالة)[٢١].

حيث ما ذكر الله الخواص ذكرهم برجال كقوله:﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٢٢]، لان وجه الامتياز بين الخواص والعوام بالرجولية في طلب الحق وعلو الهمة فان أصحاب الأعراف بعلو هممهم ترقوا عن حضيض البشرية ودركات النيران وصعدوا على ذروة الروحانية ودرجات الجنان[٢٣].

رابعاً: أنه سبحانه أمر المؤمنين بالهمة العالية، والتنافس في الخيرات

١٨ -سورة التوبة آية:١٠٨.

١٩ -ينظر: تفسير المنار: ٣٤/١١.

٢٠ -سورة الأحزاب آية:٢٣.

٢١ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة،(١٤١٩ هـ):٤٢٢/٤.

٢٢ -سورة الأحزاب آية:٢٣.

٢٣ -ينظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت:١٦٨/٣.

في قوله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[٢٤].

لقد أمر الله المؤمنين بالهمة العالية من اجل مسابقات أقرانكم في مضمار التنافس في الأعمال الصالحة، وأدّوا ما كلفتم به من أوامر الشريعة، واتركوا نواهيها يدخلكم ربكم بما قدّمتم لأنفسكم، جنة سعتها كسعة السموات والأرض[٢٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[٢٦].

قال القشيري في تفسيره :(والناس في المسارعة على أقسام: فالعابدون يسارعون بقدمهم في الطاعات، والعارفون يسارعون بهممهم في القربات، والعاصون يسارعون بندمهم بتجرّع الحسرات، فمن سارع بقدمه وجد مثوبته، ومن سارع بهممه وجد قربته، ومن سارع بندمه وجد رحمته)[٢٧].

وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ ﴾[٢٨].

إذا كان الأمر كما ذكره الله فسارعوا إلى زيادة هممكم ما هوخير لكم في دينكم ودنياكم، وابتدروا الخيرات وصالح الأعمال، انتهازا للفرصة وإحرازا للفضل، فالسابقون السابقون أولئك المقربون[٢٩].

فأن مقاييس هذه الأرض وموازينها لا تمثل الحقيقة التي ينبغي أن تستقر في ضمير صاحب العقيدة، وما تبلغ من تمثل تلك الحقيقة إلا بقدر ما يبلغ حجم الأرض بالقياس الى حجم الكون، وما يبلغ عمر الأرض بالقياس الى

٢٤ -سورة الحديد آية:٢١.

٢٥ -ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م):١٧٨/٢٧.

٢٦ -سورة آل عمران آية:١٣٣.

٢٧ - لطائف الإشارات ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري،(المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة/ الثالثة:٢٧٧/١.

٢٨ -سورة البقرة آية :١٤٨.

٢٩ -ينظر: تفسير المراغي:١٣٣/٦.

الأزل والأبد، والفارق هائل، لا تبلغ الأرض كلها تحدده، ولا حتى أن تشير أليه[٣٠].

المطلب الثالث

التعريف بالسورة.

أولا : اسم السورة وترتيبها:

سميت سورة الكهف، لبيان قصة أصحاب الكهف العجيبة الغريبة فيها في الآيات (٩- ٢٦)، مما هو دليل حاسم ملموس على قدرة الله الباهرة، فواصل آياتها على الألف.

وهي إحدى سور خمس بدئت بالحمد لله: وهي الفاتحة ،الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر، وهو استهلال يوحي بعبودية الإنسان لله تعالى، وإقراره بنعمه وأفضاله، وتمجيد الله عز وجل، والاعتراف بعظمته وجلاله وكماله[٣١].

ثانيًا : مكية السورة ومدنيتها وعدد آياتها.

تعد سّورة الكهف مكّيّة بالاتّفاق، وكان عدد آياتها مائة وعشر عند الكوفيين، وست عند الشَّاميّين، وخمس عند الحجازيّين، وإحدى عشرة عند البصريّين، وكلماتها ألف وخمسمائة وتسع وسبعون، وحروفها ستَّة آلاف وثلاثمائة وستّ[٣٢].

وذكر الفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز:(المختلف فيها إحدى عشرة آية:﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[٣٣]،﴿ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٣٤]،﴿ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾[٣٥]،﴿ زَرْعًا ﴾[٣٦]،﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾[٣٧]،﴿ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾[٣٨]،﴿ عِندَهَا قَوْمًا ﴾[٣٩]،﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[٤٠]،ذرّيّته(في) موضع:﴿ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾[٤١])[٤٢].

---

٣٠ -ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي،(المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة/ السابعة عشر (١٤١٢ هـ):٤٨٩٣/٩.

٣١ - بصائر ذوي التمييز:٣٤٠/١، بصيرة: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب.

٣٢ -ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة/ الأولى،(١٤١٤هـ- ١٩٩٤م):١٧٩.

٣٣ - سورة الكهف آية:١٣.

٣٤ - سورة الكهف آية:٢٢.

٣٥ - سورة الكهف آية:٢٣.

٣٦ - سورة الكهف آية:٣٢.

٣٧ - سورة الكهف آية:٨٤.

٣٨ - سورة الكهف آية:٣٥.

٣٩ - سورة الكهف آية:٨٦.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها:

تظهر مناسبة وضع هذه السورة بعد سورة الإسراء من نواح: هي افتتاح الإسراء بالتسبيح، وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[٤٣]، وفي الحديث:(سبحان الله وبحمده)[٤٤]، كما أن سورة الإسراء اختتمت بالتحميد أيضاً، فتشابهت الأطراف أيضاً.

ولما أمر اليهود المشركين أن يسألوا النبي ﷺعن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، أجاب تعالى في آخر سورة بني إسرائيل عن السؤال الأول، وقد أفرد فيها لعدم الجواب عن الروح، ثم أجاب تعالى في سورة الكهف عن السؤالين الآخرين، فناسب اتصالهما ببعضهما[٤٥].

ما ذكر الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٤٦]، حيث انه قد ناسب ذكر قصة موسى مع العبد الصالح الخضر عليهم السلام، كالدليل على ما تقدم، وقد ورد في الحديث: أنه لما نزل: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾، قال اليهود: قد أوتينا التوراة فيها علم كل شيء، فنزل: قل:﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[٤٧][٤٨].

---

٤٠ - سورة الكهف آية:٨٥.

٤١ - سورة الكهف آية:١٠٥.

٤٢ - بصائر ذوي التمييز:٣٤٠/١، بصيرة: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب.

٤٣ -سورة الحجر آية:٩٧.

٤٤ -صحيح البخاري:٦٨/٨، رقم(٦٤٠٥)، كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح.

٤٥ -ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن،أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب،(هـ - ١٩٩٠ م):٢٤٩.

٤٦ -سورة الإسراء آية:٨٥.

٤٧ -سورة الكهف آية:١٠٩.

٤٨ - أسباب نزول القرآن:٢٩٨.

ولما قال تعالى في الإسراء:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[٤٩]، أعقبه في سورة الكهف بالتفصيل والبيان بقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾[٥٠]، إلى قوله: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[٥١][٥٢]

والخلاصة: أنه تعالى لما قال في آخر الإسراء:﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[٥٣]، وذكر المؤمنين به أهل العلم، وأنه يزيدهم خشوعا، وأنه تعالى أمر بالحمد له وأنه لم يتخذ ولدا، أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج، القيم على كل الكتب، المنذر من اتخذ ولدا، المبشر المؤمنين بالأجر الحسن[٥٤].

رابعاً: فضل هذه السورة:

ورد في فضائل سورة الكهف أحاديث صحاح ثابتة، منها: ما روي عن النبي ﷺ قال:(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال)[٥٥].

ومنها: ما روي عن النبي ﷺ قال: (من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال)[٥٦].

المبحث الثاني

الهمة وعلوها والدروس التي جاءت في سورة الكهف:

تمهيد:

فان القارئ الذي يقرى سورة الكهف يجد كيف يوجه الله امة الرسالة الخاتمة لقيادة البشرية ويربيها على القيم التربوية العالية التي لاتستلم للأسباب

٤٩ - سورة الإسراء آية:١٠٤.

٥٠ -سورة الكهف آية:٩٨.

٥١ - سورة الكهف آية:١٠٠.

٥٢ -ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ، طبع دار الكتاب العربي- دمشق: ٦٤ وما بعدها.

٥٣ -سورة الإسراء آية:١٠٥.

٥٤ -ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي،(المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة:٢/١٢.

٥٥ -صحيح مسلم:١/٥٥٥، رقم،(٢٥٧)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي.

٥٦ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،الطبعة/ الثانية، (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م):٥/١٥٥، رقم (٢٨٨٦)،أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في فضل سورة الكهف، قال الترمذي:(هذا حديث حسن صحيح).

المادية مهما طغت، وكيف تعمل عقلها وفكرها وتدبيرها لمواجهة هذه الأسباب.

إنها تربية جند الإسلام على الهمم العالية وحسن التدبير والتخطيط، وحسن الحوار وبيان الحجة، وكيف تتحلى بالصبر والانضباط والدقة والاتياس ولا تعجز، وكيف تواجه ظلم الملوك المستبدين بحسن التدبير والتخطيط حين لا تنفع المواجهة ولا تحسن الوصول الى الأهداف، وكيف تجعل من الأسباب التي يراها الناس مخلفة للنتائج، سببا للوصول الى هذه النتائج وتحقيقها.

وبينا تبين لنا السورة الكريمة انواع الفتن وتحذر من مخاطرها، فأنها لنا طريق العصمة، وتبرز لنا معالم، النجاة، وذلك باتباع المنهج الرباني، والاستعانة بالله تعالى واللجوء اليه، وتصحيح المفاهيم وتقويم الموازين، وتأصيل القيم، والنظرة، الصحيحة للكون والحياة وادرك حقيقة الدنيا الفانية، والعمل لدار الخلود، الى جانب الصحبة الصالحة، والتحصن بالعلم النافع، والتزود بالعبادة الصحيحة، والتذرع بالصبر والثبات، والتحلي بمكارم الأخلاق، والاعتبار بقصص السابقين.

المطلب الأول

قصة الفتية.

نكلفي هذه القصة جوانب من الحياة البشرية ومشهدًا يتكرر عند وجود العقيدة الصحيحة في مجتمع ما، مهما كان وضع هذه العقيدة قوة أو ضعفًا، ففي حال قوتها يكون السواد الأعظم من الناس يتحلون بها، ولا توجد مظاهر تلفت النظر، أما في حال ضعف أصحاب العقيدة الصحيحة وقلتهم، فإن هذا النموذج يبرز، ولعل أبسط صورة لها ما ورد في قصة هؤلاء الفتية.

وقصة الفتية عند الذين كبرت هممهم أن يسلموا للمجتمع المادي الكافر فآووا إلى الكهف ليبث لهم ربهم من رحمته ويتخذ قصتهم مثلا للمؤمنين ويتجسد ذلك في قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ

عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاۡيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ ۞ [٥٧].

٥٧ ـسورة الكهف أية:٩-٢٧.

وقال الطبري في تفسيره: بينما كان الفتية في طريقهم إلى الكهف[٥٨] وهم منهمكون في ما هم عليه من حال وما سيكون عليه العمل والمآل[٥٩]،وقد كانت عناية الله وإرادته تهيئ لهم شيئًا أعظم من ذلك لتكفيهم مؤنة الجهد والمشقة، فما أن وصلوا إلى الكهف حتى ضرب على آذانهم فيه سنين عددًا، وهيأت لهم مكان إقامة تتوافر فيه الشروط الصحية الملائمة من شمس وتهوية وبعد عن القتم، وتوقفت عقارب الزمن بالنسبة لهم داخل كهفهم، إلا أنها بقيت دائرة خارجه[٦٠]، واستمرت عجلة الحياة بمشيئة الله، وكان انتصار الإيمان ودخول الناس في الإسلام، وتغيرت الأحوال، وحل الأمن والأمان مكان الظلم والطغيان، فأذن الله عز وجل بانبعاثهم، لكي يظهر آثار إكرامه للفتية، وليقيم في نفس الوقت الحجة على من زعم أن البعث يوم القيامة بالأرواح لا بالأبدان[٦١]، فأخرج الله سبحانه هؤلاء الفتية وبعثهم من رقادهم، وأعثر عليهم ليكونوا أنموذجًا محسوسًا لقدرة الخالق على الإحياء بعد الموت، فكما حفظ على هؤلاء أجسادهم من البلى وأعاد إليها الروح بعد اندثار الأجيال المتعاقبة، فإنه قادر على أن يجمع شتات الأبدان ورميمها، ويعيد إليها الروح يوم الحساب[٦٢].

والذي يظهر لنا والله تعالى أعلم، وإنهم شباب صدقوا بتوحيد ربهم، وشهدوا أن لا إله إلا هو، وزدناهم توفيقاً للهداية بالإصرار على العقيدة والإقبال على الله وإيثار العمل الصالح، وفي التعبير بالفتوة بيان لحداثة سنهم، مع قوة إرادتهم وعلو همهم وحماسهم للحق[٦٣].

ونلاحظ هنا أن هؤلاء المؤمنين الذين كبرت هممهم وضحوا بكل شيء وفروا بدينهم ما زالوا في مرحلة الشباب، وهو مظنة الانشغال بالدنيا

---

٥٨ - والكهف سرداب طبيعي (لم يحفره بشر) تحت سطح الأرض الصخرية، ويتكون الكهف عادة بفعل إذابة المياه الجوفية لأجزاء من صخور الحجر الجيري الرسوبية، ويساعد على تلك الإذابة احتواء المياه على ثاني أكسيد الكربون، وقد يمتد الكهف مئات الأمتار، وقد يتسع الكهف في بعض أجزائه إلى حجرات أبعادها عشرات الأمتار أفقيا ورأسيا، ينظر: القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، الناشر: الزهراء للإعلام العربي، الطبعة/ الأولى،(١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ هـ):٦١.

٥٩ -ينظر: جامع البيان :٦٠٨/١٧.

٦٠ -ينظر: مفاتيح الغيب:٤٢٨/٢١، والتفسير المنير:٢١٦/١٥.

٦١ -ينظر: زاد المسير:٦٦/٣، ومعارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم ،الطبعة الأولى، (١٤٢٧-٢٠٠٦م):٤/ ٢٣٣.

٦٢ -ينظر: الكشاف:٢٠٧/٢.

٦٣ - ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت:٢١٠/٥، ويرجع روح البيان::٢١١/٥.

والحرص على متعها، أما هؤلاء فقد انشغلوا بدينهم منذ صغرهم ليكونوا قدوة ومثلا للشباب المؤمن في كل زمان ومكان[٦٤].

والذي يبدو لي في هذه الآيات أن طريقة حديثهم الممتع وعرضهم الرائع لأصول الايمان وادركهم لما عليه قومهم من كفر وضلال، ودقة ادلتهم وعمقهم في التحليل، وتبصرتهم بأمر دعوتهم، وتحليهم في مكارم الاخلاق في مجتمع قد كثر وعم فيه الفساد والانحلال وعمَّه الكفر والضلال، المتأمل في ذلك كله يفهم انهم كانوا من امرهم على بينة وعلم نافع وبصيرة نافذة، وانهم من اصحاب الهمم العالية، فضلا عن فطرتهم السليمة وعقولهم الراجحة.

المطلب الثاني

قصة صاحب الجنتين.

ضرب الله تعالى مثلاً في القرآن لرجلين، وكان لأحد الرُجلين جنتين فيهما أنهار وثمار، لكنه اغتر ولم يشكر الله على هذه النعمة فأزالها الله، وأصبح هذا الرجل من النادمين، والرجل الآخر مؤمن شاكر لربه .

وقصة صاحب الجنتين قصة الذي اغتر بجنتيه وماله، واستعلى بثمره ورزقه، وكيف واجهه صاحبه المؤمن بهمة مستعلية على الدنيا وثمرها ومظاهرها، ومعتزاً بالله معلنا قيم التوحيد بقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾[٦٥].

ونلاحظ في هذه المحاور المؤمن حاول في محاورته لصاحبه في الحوار، المغرور بما أتاه الله من مال وأنصار، أعادته الى المنطلق الأول للفكر الإيماني، وهو الإيمان بالخالق الرب، وهو الإيمان بالخالق المنشئ له بصفات ربوبيته العظمى من التراب.

لذلك نجد كيف بدا المؤمن بهمة مستعلية على الدنيا وثمرها ومظاهرها، فسأله على سبيل الاستفهام الإنكاري، عن نظرته الى النظام السببي الذي تجري بمقتضاه إحداث الكون وأطواره، هل هو يؤمن بالأسباب منقطعة عن الرب الذي يخلق كل ما في إحداث كونه ضمن قنواتها[٦٦].

---

٦٤ - ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:٢٠٥/٥، وروح المعاني: ١٥/ ٢٢٣- ٢٢٤.

٦٥ -سورة الكهف آية:٧٣-٤٠.

٦٦ -ينظر: زاد المسير:٨٤/٣.

يقول صاحبُ الظلال رحمه الله في تفسيره:(تجيء قصة الرجلين والجنتين تضرب مثلا للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبر التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلا على المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره، وهكذا كشفت السورة خسارة المتعلقين بالأسباب الظاهرة، كما كشفت أن الغنى الحق بالله وحده)[٦٧].

وقد ضرب القرآن هذا المثل تعقيباً على قصة صاحب الجنتين، حيث دمَّر الله الجنتين في لحظات وأصبحتا خاويتين على عروشهما، وإن مثل الحياة الدنيا في زهرتها ونضارتها كمثل ماء نزل من السماء فاختلط به نبات الأرض فاشتبك النبات وخالط بعضه بعضا لكثرته وكثافته بسبب سقي الماء إياه فأصبح ذلك النبات الملتف إثر بهجته ونضارته يابساً متفتتاً تفرقه الرياح والله على كل شيء من الأشياء التي من جملتها الإنشاء والإفناء مقتدراً كامل القدرة[٦٨].

فسرعان ما تقضي الحياة الدنيا وإنها تعود بعد أن تملأ الأعين برونقها وتجتلب النفوس ببهجتها وتحمل أهلها على أن يسفكوا دماء بعضهم بعضاً ويهتكوا حرمهم حباً لها وعشقاً لجمالها الظاهري وتكالباً على التمتع بها وتهافتاً على نيل ما تشتهي الأنفس منها، وأن مثلها في سرعة الذهاب مثل النبات في زوال رونقه وذهاب بهجته وسرعة تقضيه بعد أن كان غضاً مخضراً طرياً قد تعانقت أغصانه المتمايلة وزهت أوراقه المتصافحة وتلألأت أنوار نوره وحاكت الزهر أنواع زهره[٦٩].

هذا هو المشهد الذي يُجسد حقيقة الحياة الدنيا فهي متاع زائل ولا يغتر به إلا المغرور ، فكما أن الجنتين زالتا في لحظات فكذلك الحياة الدنيا تزول في لحظات، كل ما في الحياة الدنيا زائل لاسيما المال والبنون اللذين يفتخر بهما من يظن أنه ملك الدنيا، وما أعظم قوله تعالى بعد هذه القصة قوله تعالى:﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

٦٧ -في ظلال القران :٢٢٠٧/٣.

٦٨ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤١٢/١٠ ، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة/ الأولى،(١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م):٣٠١/٢.

٦٩ - ينظر: فتح القدير: ٢/ ٤٣٧، ومفاتيح الغيب:١٤٢/٢١، وروح المعاني: ١٥ / ٣٨٤ .

﴾[٧٠]، وأن أصحاب الهمم العالية لا يتعلقون بالفاني الزائل وإنما بالنعيم الباقي الدائم عند الله[٧١].

إن المسلم مطالب بالتعامل مع زينة الحياة الدنيا تعاملاً صحيحاً ولا يعطيها أكبر من حجمها، فلا يعتبر المال والبنون هما كل شيء في الحياة وينشغل بهما عن طاعة الله ، بل يجب أن يسخرها لطاعة الله وخدمة دينهُ .

المطلب الثالث

توجيه الله لنبيه ألا يعبا بالأسباب.

يبدو أن توجيه الله لنبيه ألا يعبا بالأسباب الظاهرة لقوة أهل المال والجاه وان يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجه قوله تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[٧٢].

كانت توجيهات للنبي ﷺوللمؤمنين الصبر على مجالسة الفقراء وإظهار كون الحق من عند الله، جاءت هذه النصوصلا تمثل مجرد مبادئ وقيم ونظريات في(حقوق الإنسان)، إنها تمثل شيئا هائلاً تحقق في حياة البشرية وتمثل نقلة نقلها هذا الدين للبشرية، ومهما يكن من تراجع البشرية عن هذا الخط الوضيء، فإن هذا لا يقلل من عظمة تلك النقلة في حياة البشر الواقعية، إن قيمة ارتسام هذا الخط وبلوغه ذات يوم، أن تحاول البشرية مرة ومرة الارتفاع إليه ما دام أنها قد بلغته فهو في طوقها، فلا يبقى إلا العزم والهمة والثقة واليقين، وقيمة هذه النصوص أنها ترسم للبشرية اليوم ذلك الخط الصاعد بكل نقطه ومراحله، من سفح الجاهلية الذي التقط الإسلام منه العرب، إلى القمة السامقة التي بلغ بهم إليها، وأطلعتهم في الأرض يأخذون بيد البشرية من ذلك السفح نفسه إلى تلك القمة التي بلغوها! فأما ذلك السفح الهابط الذي كان فيه العرب في جاهليتهم وكانت فيه البشرية كلها فهو يتمثل واضحا في قوله: (الملأ) من قريش: جاءت المؤلف قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن والافرع بن حابس فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء

---

٧٠ -سورة الكهف آية:٤٦.

٧١ - ينظر: روح المعاني: ١٥/ ٣٨٣، وتفسير القرآن العظيم: ١٠٦/٣ .

٧٢ - سورة الكهف آية:٢٨.

المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، يتهددهم بالنار ،فقام النبي ﷺيلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: (الحمد لله الذي لم يمتني، حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات)[٧٣].

وفي قوله تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾، اعلم أن أكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله ﷺ: إن أردت أن نؤمن بك فاطرد هؤلاء الفقراء من عندك، فإذا حضرنا لم يحضروا، وتعين لهم وقتا يجتمعون فيه عندك فأنزل الله تعالى:﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾[٧٤]، فبين فيها أنه لا يجوز طردهم بل تجالسهم وتوافقهم وتعظم شأنهم ولا تلتفت إلى أقوال أولئك الكفار ولا تقيم لهم في نظرك وزنا سواء غابوا أو حضروا[٧٥]، وهذه القصة منقطعة عما قبلها وكلام مبتدأ مستقل، ونظير هذه الآية قد سبق في سورة الأنعام وهو قوله:﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ ﴾[٧٦]، ففي تلك الآية نهى الرسول ﷺ عن طردهم وفي هذه الآية أمره بمجالستهم والمصابرة معهم[٧٧]،هنا في سورة الكهف فقوله:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾، أصل الصبر الحبس ومنه نهى رسول الله ﷺعن المصبورة وهي البهيمة تحبس فترمى ،زاد الله التكليف الرباني للرسولﷺ، فأمره الله نبيه بان يكون عالي الهمة بان يصبر نفسه معهم، وان يتابع إفراداهم بنظره، ملاحظة وعناية وعطفا، ونهاه عن التطلع الى زينة الحياة الدنيا التي يتمتع بها كبراء قومه، ولو رأى باجتهاده ان استرضاء هؤلاء الكبراء ارجى لانتشار دعوة الحق في جماهير قومه[٧٨].

والذي يبدو لي من خلال القصة نتعلم ان لا ملجأ لنا ولاملاذ ولأعاصم الا الله، لما تبين من قصة اصحاب الكهف كيف اجتمعوا على طاعة الله تعالى وتعالت هممهم وتعانقت قلوبهم وتآلفت ارواحهم على الحب كلمتهم على نصرة دين اله دعا المولى عز وجل رسوله الكريم ﷺ ان يصبر نفسه مع اوليا الله

٧٣ - أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة/ الثانية، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م):٢٩٧.

٧٤ - سورة الأنعام أية:٥٢.

٧٥ -ينظر: جامع البيان:٥/١٨.

٧٦ -سورة الأنعام أية:٥٢.

٧٧ -ينظر: مفاتيح الغيب:٤٥٥/٢١.

٧٨ -ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة،(١٤٢٠ هـ):١٦٦/٧.

المريدين لوجهه والمبتغين لفضله، فلا ينصرف عنهم لفقرهم او لضعفهم، فهم بالأيمان اغنى وباليقين اقوى وبالتقى اكرم من غيرهم.

المطلب الرابع

قصة نبي الله موسى عليه السلام نجد فيها الدروس التالية لأصحاب الهمم العالية:

أولاً: الهمة في طلب العلم.

الهمة العالية والعزيمة والإصرار هي التي حددة طريق الوصول الى الغاية أو الهدف الى مجمع البحرين للقاء بالمعلم مهما طال الزمن، او يمضي.

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾[٧٩].

لنعيش(في جو القرآن)، ونعتقد أن لعرضها في القرآن على النحو الذي عرضت به، دون زيادة، ودون تحديد للمكان والزمان والأسماء، حكمة خاصة، فنقف نحن عند النص القرآني نتأملها.

قد كان تذكير لكل سامع وتال بهذه الرحلة العجيبة وتلك الصحبة المباركة التي جمعت بين نبي الله موسى عليه السلام وبين فتاه، وانما سمي فتى:(لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه)، يقول له موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾، سأسير سيراً طويلا وامضي زماناً مديداً الى ان اصل الى مجمع البحرين[٨٠].

فان الهمة العالية والإصرار من نبي الله موسى عليه السلام، مهما كلفه ذلك من مشقة وعناء، ومهما امضي من وقت في سبيل هذا المقد السامي، وفي هذا ما يدل على صدق وعزيمة وشدة حرصه على طلب العلم النافع والاستزادة منه وصبة أهله.

وأعود إلى سياق فقرة انطلاق موسى عليه السلام للبحث عن العبد الصالح إننا نستشف من افتتاحية الفقرة أن موسى عليه السلام كان قد تلقى أمرًا من ربه للذهاب إلى العبد الصالح والتعلم منه بدليل هذا الجزم والتصميم:﴿ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾، لو لم يكن الأمر واجبًا عليه لكان له في بني إسرائيل ما يشغله، ولما كان له أن يتركهم أحقابًا من الزمان وإذا أدركنا أن

---

٧٩ -سورة الكهف أية:٦٠.

٨٠ -ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل:١٩/٣.

الحقب فسر بالدهر، والحقبة الواحدة تبلغ ثمانين عامًا وقيل أكثر، إذا علمنا ذلك وأدركنا مدى العزم والتصميم الذي كان عليه موسى عليه السلام للظفر بالعبد الصالح، فلا يكون ذلك إلا عن تكليف كلف به[٨١].

عندما أخبر الله موسى أن الخضر أعلم منه، شعر بتسرعة في الجواب وندم على كلامه ورغب في أن يذهب الى الخضر ليتعلم منه، لكن همة موسى عليه السلام دعته يطلب من الله تعالى أن يدلَّه على مكان وجوده فأخبر الله أنه بمجمع البحرين، وطلب الله من موسى عليه السلام أن يختار حوتاً من السمك وأن يُملحه بالملح وأن يضعه في مكتلسلة وأن يصحب معه فتاه يوشع بن نون وأن ينطلقا نحو مجمع البحرين للإلتقاء بالخضر، وجعل له علامة تدل أنه في المكان الذي فيه الخضر فإذا وصل مجمع البحرين وجد صخرة هناك وعندما سيعيد الله الحياة الى الحوت المملح وسيخرج من المكتل ويعود حوتاً حياً في البحر فإذا حصل ذلك فسيقابل الخضر هناك، ونفذ موسى عليه السلام الوصية[٨٢].

ونفهم من سياق القصة فيما بعدأنه كان لموسى عليه السلام هدف من رحلته هذه التي اعتزمها، وأنه كان يقصد من ورائها أمراً، فهو يعلن همته وتصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول، وهو يعبر عن هذا التصميم بما حكاه القرآن من قوله: ﴿ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا ﴾، والحقب قيل عام، وقيل ثمانون عاما، على أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد[٨٣].

ثانياً: الهمة في تفسير ضياع الحوت كانت تلك اشارة للقاء بالمعلم، فلا يأس ولا استسلام .

قد كانت همة موسى عليه السلام في امر تفسير ضياع الحوت اشارة الى القاء الاول بالمعلم، فلم يكن فيها يأس ولا استسلام لأنه كان مسلم امره الى الله تعالى، وايضاً نجد من موسى عليه السلام مصمم في بلوغ وصلوه الى المكان الذي اعلمه به ربه وكان ذلك سر بينه وبين الله.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ ﴾[٨٤].

٨١ -ينظر: التحرير والتنوير:١٥/٣٥٨.

٨٢ - ينظر: المحرر الوجيز:٣/"٥٥٦.

٨٣ -ينظر: التفسير المنير:١٥/٢٨٥.

٨٤ - سورة الكهف الآيات : ٦٣ - ٦٤.

ومن خلال اللقاء القصير تدور محاورة بين الرجل الصالح وبين موسى عليه السلام، نلاحظ فيه شخصية الرجل الصالح المملية للشروط، الواقفة موقف المعلم المربي، الواثقة من نفسها المتحدثة عن الحقائق الغيبية.

وكما نلاحظ شخصية موسى عليه السلام المتلهفة لطلب المعرفة، المتواضعة أشد درجات التواضع، الحريصة على الظفر بالقبول عند الرجل الصالح ولقد أشارت الآيات الكريمة إلى جانب من تفخيم شأن الرجل الصالح، فهو عبد من خواص عبيد الله، المنسوبين إلى الله جلا جلاله والعبودية منتهى درجات الكمالات الإنسانية وما ذكر أحد في القرآن الكريم بصفة العبودية المنسوبة إلى الله تعالى إلا في سياق التكريم والتشريف[٨٥].

إن الإشارة إلى سعة علم الله في هذا الموقف تذكير لموسى عليه السلام لساعة النسيان التي كانت وراء هذه الرحلة العلمية[٨٦]، وهي في نفس الوقت من الحوافز لرفع الهمة وحرص موسى عليه السلام للمصاحبة والتلقي، لذا نراه يوافق مسبقًا على الشروط وأنه سيكون عند حسن ظن العبد الصالح به[٨٧].

فلما جلس موسى عليه السلام وفتاه على الصخرة، وكان المفروض أن الفتى مكلف بالحراسة والخدمة ومراقبة الحوت في المكتل، وإخبار موسى عليه السلام بكل ما يطرأ، إلا أن النسيان الذي لا يعهد في مثل هذه الحالة يطرأ على الفتى يوشع بن نون فينسى عودة الحياة إلى الحوت وخروجه من المكتل وذهابه في البحر، وبقاء السرب في البحر، إن أي أمر عادي في حياة الإنسان يمكن أن يغفل عنه بحكم الإلف والعادة، أما مثل هذه الخوارق فلو حدثت مرة واحدة لبقي القلب والعقل والفكر مشغولًا بها طيلة العمر، فما بالك إذا كانت شئون السفر والحصول على المبتغى مترتبًا على عودة الحياة إلى الحوت[٨٨].

ويبدو لي أن هذا الحوت كان مشوباً، وأن إحياءه واتخاذه سبيله في البحر سرباً كان آية من آيات الله لموسى عليه السلام، يعرف بهما موعده، بدليل عجب فتاه من اتخاذه سبيله في البحر، ولو كان يعني أنه سقط منه فغاص في البحر ما كان في هذا عجب، ويرجح هذا الوجه أن الرحلة كلها مفاجآت غيبية، فهذه إحداها والله اعلم.

---

٨٥ - ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١/ ٧٥ .

٨٦ - ذهب المفسرون مذهبين في الدافع للخضر عليه السلام إلى القول:{إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}، في بداية اللقاء، المذهب الأول: لبيان أن المجال الذي يعمل فيه -تنفيذًا لأوامر ربه- غير المجال الذي كلف به موسى لأداء رسالة ربه، ولكي لا يتوهم موسى أن يتهمه بالقصور أو العجز، فأسرع إلى بيان السبب، بأن هذا ليس مما كلف به موسى والأنبياء المرسلون الآخرون، بل هو من الأشياء التي لم يحط بها البشر خبرًا، فإن لم يصبر عليها موسى فليس مؤاخذًا ولا متهمًا بالتقصير، فقال: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا} ، تبريرًا وإعذارًا مسبقًا لموسى إن لم يصبر، والمذهب الثاني للمفسرين: هو أن الخضر اختار الكلمات والأسلوب قصدًا إلى التعليم وإبراز مكانة العلم وعزته.

٨٧ -ينظر: جامع البيان: ١٨/٦٥.

٨٨ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن:١١/١٣.

ثالثا: الهمة بالتحلي بالصبر والانضباط الدقيق في تنفيذ والوصول الى الهدف.

في قوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ ﴾[٨٩].

في هذه الآيات تبدأ أحداث هذا الحدث العظيم الذي كان موسى عليه السلام على موعد معه، والذي من أجله الهمة بالتحلي بالصبر من اجل قطع هذه الرحلة المثيرة، واحتمل ما احتمل من جهد وعناء.

كما استخدم موسى عليه السلام السؤال في أتباعه الخضر والتعلم منه، قال تعالى:﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾[٩٠]، لكن قول موسى للخضر بعد أن التقيا: ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ ﴾، هل تأذن لي في مصاحبتك واتباعك، بشرط أن تعلمني من العلم الذي علمك الله إياه: شيئا أسترشد به في حياتي، وأصيب به الخير في ديني[٩١].

ونجد أن موسى عليه السلام كان ذو همة عالية وحريص على تعلم العلم النافع، يصر على مصاحبة الرجل الصالح، فيقول له في لطف وأدب، مع تقديم مشيئة الله تعالى:﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾، قال موسى للخضر ستجدني إن شاء اللَّه صابراً معك، غير معترض عليك، ولا أعصى لك أمرا من الأمور التي تكلفني بها[٩٢].

وقدم موسى عليه السلام المشيئة ،أدبا مع خالقه عز وجل واستعانة به سبحانه على الصبر وعدم المخالفة، وكان موسى عليه السلام صاحب همة وشديد الرغبة في التعليم فهو تعهد أن يسير أحقاباً حتى يجد الخضر عليه السلام لكي يتعلم منه ووعد الخضر عليه السلام أن يصبر على السير معه وعلق الأمر على مشيئة الله ووعده أن

٨٩ -سورة الكهف آية : ٦٦ – ٦٩.

٩٠ -سورة الكهف آية : ٦٦ – ٦٩.

٩١ -ينظر: الجامع لأحكام القران:١١ / ١٨، والنكت والعيون ،أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان:٣٢٦/٣.

٩٢ - ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة/ الأولى،(١٤١٤ هـ):٣٥٤/٣.

يطيعه فلا يعصي له أمراً في قوله:﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾[٩٣].

فأنت ترى أن موسىعليه السلام قد راعى في مخاطبته للخضر عليه السلام أسمى ألوان الأدب اللائق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث خاطبه بصيغة الاستفهام الدالة على التلطف، وحيث أنزل نفسه منه منزلة المتعلم من المعلم، وحيث استأذنه في أن يكون تابعا له، ليتعلم منه الرشد والخير.

وإزاء هذه الهمة والرغبة الملحّة من هذا التلميذ الحريص على طلب العلم والمعرفة، يرضى الأستاذ أن يكشف لتلميذه عن بعض ما عنده، ولكنه يشترط لنفسه، كما اشترط التلميذ من قبل لنفسه، أن تكون صحبته غاية لطلب العلم[٩٤].

ويقول الشيخ السعدي من فوائد الآية : الهمة بالتحلي بالصبر والتأني والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما هو المراد منه وما هو المقصود[٩٥].

فان صدمة المفاجأة وهول الحاد تكثيرًا ما تكون الآراء والمواقف النظرية بمنأى عن التطبيق العملي، فكم من طالب علم أخذ دروسًا في علم البيان ومقومات الخطابة وآدابها، فلما تولى إلقاء خطبة في محفل أو على منبر خانته معلوماته وتطايرت الأفكار من ذهنه، وارتجفت منه الأقدام وتلعثمت الشفاه فجاء بها مفككة العبارات ركيكة الجمل.

رابعا: الهمة باستنكاه الأسباب الخفية والمعلومات الباطنة لتفسير وما يتعلق بحماية امن الدولة، وهذا ما تشير أليه دروس موسى عليه السلام مع العبد الصالح:

أ. خرق السفينة.

خرق السفينة من اجل إنقاذها من الملك الظالم عملية استخبارية ذكية حجبت عن الكلام الظالم صلاح السفينة وزهدته بها:﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ ﴾[٩٦].

بعد ذاك الحوار المعبر ذي المغزى، انطلق الركب الكريم[٩٧]، واقتصر النص القرآني على الأحداث ذات الشأن في هذه الرحلة كما هو الحال في شأن

---

٩٣ - ينظر : روح المعاني ١٥/٤٤٠-٤٤٣ ، وتفسير مدارك التنزيل :٣/٢١ .

٩٤ - ينظر: تفسير القران العظيم: ٥ / ١٧٨، والتفسير القرآني للقرآن:٨/٦٥٠، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة/الأولى، تاريخ النشر:(١٩٩٨):٨/٥٥٢.

٩٥ - ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٢٣٥.

٩٦ -سورة الكهف آية: ٧١.

القصص القرآن يولم يحدد الاتجاه والمقصد، وكأنها رحلة مطلقة متروكة لمجريات الأحداث، ليكون الموقف المناسب تجاه الحدث الطارئ، هذا ما يبدو في الظاهر، أما في علم الغيب فلا صدفة ولا مفاجأة، بل الأمور تجري حسب تقدير العزيز العليم بها[٩٨].

ويمر الركب على مساكين يعملون في البحر، على سفينة لهم، ينقلون الناس من ساحل البحر إلى آخر، لقاء أجر معلوم، فيعرفون الرجل الصالح فيحملونه وصاحبه من غير أجر تكريمًا وتقديرًا، فلا يلبث الخضر عليه السلام أن يهم بنفسه وينزوي إلى طرف من السفينة ليقلع لوحًا من خشبها، ويوتد مكان الخرق وتدًا ليحد من تسرف الماء إليها، ولا يملك موسى عليه السلام نفسه من الغضب والانفعال تجاه هذا التصرف، كيف يقابل إحسان القوم بمثل هذا التصرف؟! ثم بأي وجه حق يعتدي على مالهم بالإتلاف؟! وكونهم مساكين تستدر حالهم العطف وتثير الشفقة عليهم[٩٩].

ومن شأن هذا الخرق أن يغرق ركاب السفينة الأبرياء، فما وجه المشروعية في كل ذلك؟!:﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾[١٠٠]، إن هذا العمل بالمقاييس الظاهرة وما يحتمل أن يترتب عليه من المهالك أمر عظيم ولا شك[١٠١]، ولا تدرك الأمور حق إدراكها إلا إذا ذاقتها وجربتها، ومن هنا هم واندفع موسى عليه السلام مستنكرا:﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾[١٠٢].

ولكن الرجل الصالح ينظر إلى المسألة من زاوية أخرى، بناء على الحكمة العليا والمصلحة الآجلة، وتطبيقًا للقاعدة الشرعية المتفق عليها بين العلماء الربانيين(يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأقوى) فيذكر موسى عليه السلام:﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾[١٠٣]، وتهدأ نفس موسى

---

٩٧ -أسدل الستار على فتى موسى من وقت اللقاء، وسيقت القصة بأسلوب المثنى مما يدل على أنه لم يكن مع موسى والرجل الصالح أثناء الرحلة، وأغلب الظن أن موسى أمره بالعودة إلى موطنه، لأن مدة الرحلة لم تكن معلومة لديه، ولعل عدم ذكر موسى له عند اللقاء بالرجل الصالح أمارة على أن الأمر كله من الأسرار الربانية بين موسى وربه عز وجل.

٩٨ -ينظر: الكشاف:٢/٧٢٥.

٩٩ -تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م):١٨/٧٩٦٠.

١٠٠ -سورة الكهف آية: ٧١.

١٠١ - يراجع فصل: «القصة في القرآن» في كتاب: التصوير الفني في القرآن- سيد قطب، (دار الشروق):٥٥.

١٠٢ -سورة الكهف آية: ٧١.

١٠٣ -سورة الكهف آية:٧٢.

عليه السلام ويذكر العهد الذي قطعه على نفسه بعدم الاعتراض والاستفسار، حتى يكون الخضر عليه السلام هو البادئ بالتوضيح والبيان، وتطمئن نفسه إلى أن صاحبه ليس كسائر الأصحاب، وإنما هو رجل رباني على جانب من العلم لا يعمله موسى عليه السلام[١٠٤].

نعم إن طبيعة موسى طبيعة انفعالية اندفاعية، كما يظهر من تصرفاته في كل أدوار حياته، منذ أن وكز الرجل المصري الذي رآه يقتتل مع الإسرائيلي فقتله في اندفاعة من اندفاعاته، ثم أناب إلى ربه مستغفرا معتذرا حتى إذا كان اليوم الثاني ورأى الإسرائيلي يقتتل مع مصري آخر، هم بالآخر مرة أخرى[١٠٥]! نعم إن طبيعة موسى عليه السلام هي هذه الطبيعة، ومن ثم لم يصبر على فعلة الرجل ولم يستطع الوفاء بوعده الذي قطعه أمام غرابتها، ولكن الطبيعة البشرية كلها تلتقي في أنها تجد للتجربة العملية وقعا وطعما غير التصور النظري[١٠٦].

ب. قتل الغلام.

كانت همة الخضر عليه السلام في قتل الغلام عملية يخبر ظاهرها بقتل نفس زكية بغير نفس وينبئ باطنها بحكمة الله في إنقاذ الوالدين من الولد السيئ: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[١٠٧].

ولم ينتظر الخضر من موسى عليه السلام جوابًا وإقرارًا على ما يقول، فإن الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تردد أو جدال: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾[١٠٨].

روي عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ:(إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا)[١٠٩]، وكان الأبوان المؤمنان الصالحان متعلقين بهذا الغلام تعلقًا شديدًا، إنها عاطفة الأبوة، وحقيقة حال الغلام غير ظاهرة لهما، فلو استمر الغلام بينهما على قيد الحياة لأوردهما المهالك، فلا يملكان رده عن غيه وكفره ولا يتحكمان في قلبيهما لهجرة ومقاطعته[١١٠]، فخشينا إذا صار كبيرا أن يحملهما حبه على متابعته في الكفر

---

١٠٤ -ينظر: لطائف الإشارات:٤٠٩/٢.

١٠٥ - يراجع فصل:(القصة في القرآن) في كتاب: التصوير الفني في القرآن- سيد قطب، (دار الشروق):٥٥.

١٠٦ -ينظر: الجامع لأحكام القرآن:١٨/١١، و مفاتيح الغيب:٤٨٦/٢١.

١٠٧ -سورة الكهف آية:٨٠.

١٠٨ -سورة الكهف آية:٨٠.

١٠٩ -صحيح مسلم: :٤/ ٢٠٥،رقم:(٢٦٦١) ،كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.

١١٠ - ينظر: في ظلال القرآن ٦/ ٢٢٧٩، و روح المعاني:٣٥٨/٨.

والوقوع في الظلم والعصيان والمنكرات لأن حب الولد غريزة، وهذا من قبيل سد الذرائع وفتحها، فإن كل ما كان وسيلة إلى المصلحة فهو مصلحة[١١١].

كان حزن ساعات وأيام خير لهما من نار جهنم، والعوض الذي وعدا به كفيل أن يسدل الستار على ذكرى هذا الغلام التعيس الشقي لقوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾[١١٢].

ومن ينظر بنور الله وببصيرة المؤمن يتلمس جوانب الخيرية في كل ما يصيبه في دنياه، وفي توجيهات المصطفى ﷺ:(عجبت للمؤمن إن الله لم يقض قضاء إلا كان خيراً له)[١١٣].

ومرة أخرى نتساءل: كيف ينسى موسى عليه السلام في هذا الموقف الدقيق العهد على الرغم من استمرار الصحبة، وحصول العلم الراشد الذي يتوقع أن يتعمله منها مبني على عدم الاعتراض والاستفسار؟!

نقول في الجواب كما قلنا في الحكمة في نسيان الحوت، ليعلم الإنسان أن تحصيل أي علم مهما صغر أو كبر، واستمراره وبقاءه مهما طال الوقت أو قصر، مرتبط بمشيئة الله تعالى وإرادته، ولا يمكن أن يحصل شيء من ذلك إلا بتوفيقه ورضاه[١١٤].

ويبدو لي إذن فوجه المصلحة في الحادثة واضحة، وكانت الهمة في القتل للغلام أكبر تكريم للأبوين الصالحين، وكان في نفس الوقت رحمة بهما وشفقة على حالهما، لأنهما لو أطلعا على حقيقة حال الغلام، فلربما كلفا بقتله بأيديهما، وفي ذلك من الإصر والشدة ما فيه.

ج. الهمة في بناء الجدار.

في بناء الجدار الآيل الى السقوط لقوم منعوهم من واجب الضيافة، وكان زهده بالأجر حتى لا يلفت أنظارهم الى ما تحت الجدار، وهذا الكنز الذي أراد الله يحفظه لأبناء رجل صالح، سخر الله هذا العبد الصالح لبنائه قال تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ ﴾[١١٥].

قد كانت همة الخضر لان الجدار لغلامين صغيرين فقدا حنان الأب ورعايته منذ الصغر، وكانا وديعتين لأب صالح استودعهما الله سبحانه وتعالى الذي لا تضيع ودائعه، وكان تحت الجدار كنز لهما، وكان الجدار آيلًا للسقوط، ولو ترك يسقط وحال الغلامين على ما تقدم لضاعت ثروتهما، وبالتالي ضاع

---

١١١ - ينظر: التفسير المنير:١٠/١٦.

١١٢ -سورة البقرة آية:٢١٦.

١١٣ - مسند الإمام أحمد: ٣/ ٨٦، رقم(١٤٩٢)، مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص (١) رضي الله عنه.

١١٤ -ينظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق:الجزء ١: علي بن غازي التويجري، الجزء ٢ - ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل، الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، الطبعة: الأولى،(١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م):٢٢٠/٢.

١١٥ -سورة الكهف آية:٨٢.

مستقبلهما وضاعت الوديعة، فكلف الله سبحانه وتعالى الخضر عليه السلام بالقيام برعاية مصالحهما في هذا الجانب أليس في هذا العمل إحسان ووضع للمعروف في موضعه؟ بل إهمال مصالح الغلامين وتعريضها للخطر يزعزع ثقة الصالحين الملتجئين إلى الله عز وجل بوعد ربهم، والظاهر أن الغلامين كانا صغيرين بقرينة وصفهما باليتم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حفظت عن رسول الله ﷺ:(لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل)[١١٦].

قال الرازي:(أن إقامة الجدار فقد أجاب العالم عنها بأن الداعي له إليها أنه كان تحت ذلك الجدار كنز وكان ذلك اليتيمين في تلك المدينة وكان أبوهما صالحا ولما كان ذلك الجدار مشرفا على السقوط ولو سقط لضاع ذلك الكنز فأراد الله إبقاء ذلك الكنز على ذينك اليتيمين رعاية لحقهما ورعاية لحق صلاح أبيهما فأمرني باقامة ذلك الجدار رعاية لهذه المصالح)[١١٧].

إذن فلا شك أن ما قام به العبد الصالح من همته في بناء الجدار وإقامته أو ترميمه يعد بمثابة صفعة لهؤلاء اللئام تناسب ما قابلوهم به من تنكر وسوء استقبال، وترد لهم الصاع صاعين حين حرمهم الخضر من هذا الكنز[١١٨].

فالهمة في أصلاح الجدار كانت علة إلى ما تحته من مال يجب أن يحفظ لحين أن يكبر هذان الغلامان ويتمكنا من حفظه وحمايته في قرية من اللئام، وكأن الحق سبحانه وتعالى أرسله لهذين الغلامين في هذا الوقت بالذات، حيث أخذ الجدار في التصدع، وظهرت عليه علامات الانهيار ليقوم بإصلاحه قبل أن يقع وينكشف أمر الكنز وصاحبيه في حال الضعف وعدم القدرة على حمايته[١١٩].

ثم إن العبد الصالح أصلح الجدار ورده إلى ما كان عليه رد من علمه الله من لدنه، فيقال: إنه بناه بناء موقوتا يتناسب وعمر الغلامين، وكأنه بناه على عمر افتراضي ينتهي ببلوغ الغلامين سن الرشد والقدرة على حماية الكنز فينهار. وهذه في الواقع عملية دقيقة لا يقدر على حسابها إلا من أوتي علما خاصا من الله تعالى[١٢٠].

ويبدو من سياق الآية أنهما كانا في سن واحدة توأمين لقوله تعالى:﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾[١٢١]، أي: سويا، ومعنى الأشد: أي القوة، حيث تكتمل أجهزة الجسم وتستوي، وأجهزة الجسم تكتمل حينما يصبح المرء قادرا على إنجاب مثله[١٢٢].

وتلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى قال هنا:﴿ يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾[١٢٣]، ولم يقل رشدهما، لأن هناك فرقا بين الرشد والأشد فالرشد: حسن التصرف في

---

١١٦ -سنن أبي داود:رقم:(٢٨٧٣)، كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتم.

١١٧ - مفاتيح الغيب:٤٩٢/٢١.

١١٨ -ينظر: التحرير والتنوير:٩/١٦.

١١٩ -ينظر: في ظلال القرآن:٢٢٨١/٤.

١٢٠ -ينظر: فتح القدير:٣٥٦/٣، والتفسير القرآني للقرآن:٦٦٥/٨.

١٢١ -سورة الكهف آية:٨٢.

١٢٢ -ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٣٨/١١، وتفسير القرآن العظيم:١٨٥/٥.

١٢٣ -سورة الكهف آية:٨٢.

الأمور، أما الأشد: فهو القوة، والغلامان هنا في حاجة إلى القوة التي تحمي كنزهما من هؤلاء اللئام فناسب هنا ﴿ أَشُدَّهُمَا ﴾[١٢٤].

وإن همة يوسف عليه السلام بطلب العلم لابد أن تقف عند ساحل يعترف فيه لأهل الاختصاص والاستخبارات السرية بعملهم، وملتزمين فيه بقيم الشرع وأخلاق الإسلام وخير الناس قوله تعالى:﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ﴾[١٢٥].

ويبدو لي كان تحت هذا الجدار المائل كنز لهذين الغلامين الغير قادرين على تدبير شأنهما، ولك أن تتصور ما يحدث لو تهدم الجدار، وانكشف هذا الكنز، ولمع ذهبه أمام عيون هؤلاء القوم الذين عرفت صفاتهم، وقد منعوهما الطعام بل ومجرد المأوى، إن أقل ما يوصفون به أنهم لئام لا يؤتمنون على شيء، ولقد تعودنا أن نعبر عن شدة الضياع بقولنا: ضياع الأيتام على موائد اللئام.

د. قصة ذي القرنين.

قصة ذي القرنين صاحب الهمة الإيمانية الذي مكن الله له في الأرض وسلك أسباب العلم والعمل والجهاد للتوسع والفتح وتذليل الصعاب لتبليغ كلمة الله:﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾[١٢٦].

نجد في هذا المقطع قصة ذي القرنين وجولاته الثلاث في مغرب الشمس ومطلعها وبين السدين، وكما هو الشأن في القصص القرآني لا تخبرنا الآيات الكريمة عن اسم ذي القرنين ونشأته ولا عن زمانه أو مكانه، وإنما تحدثنا عن شيء حول شخصيته وعن رحلاته الثلاث:﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾[١٢٧].

وإنه شخص مكن له رب السماوات والأرض الخالق المدبر المتصرف في شئون الكون، رب العزة والجبروت مكن له في الأرض وآتاه الهمة من كل شيء سببًا، وينصرف ذهن السامع أو القارئ إلى وجوه التمكين له في الأرض ،مكن له في العلوم والمعرفة واستقراء سنن الأمم والشعوب صعودًا وهبوطًا، ومكن له في سياسة النفوس أفرادًا وجماعات تهذيبًا وتربية وانتظامًا، ومكن له في أسباب الهمة والقوة من الأسلحة والجيوش وأسباب القوة والمنعة والظفر، ومكن له الهمة في أسباب العمران وتخطيط المدن وشق القنوات وإنماء الزراعة[١٢٨].

ويبدأ ذو القرنين همته لرحلته الأولى ولا نعلم نقطة الانطلاق فيها إلى أن يبلغ مغرب الشمس حيث يجدها الرائي أنها تغرب في موضع ما حسب ما

---

١٢٤ -ينظر: تفسير الشعراوي:١٤/٨٩٧٢.

١٢٥ -سورة الكهف آية:٨٢.

١٢٦ -سورة الكهف آية: ٨٤ - ٨٥.

١٢٧ -سورة الكهف آية: ٨٤ - ٨٥.

١٢٨ -ينظر: مفاتيح الغيب:٢١/٤٩٥، وفي ظلال القرآن:٤/ ٢٢٩٠.

تكون الجهة أو الموضع الذي يقف عنده فيما أنه كان في أقصى الغرب وكان أمامه البحر أو بحيرات ومستنقعات وجدها تغرب في عين حمئة[١٢٩].

إذاً إنها سياسة العدل التي تورث التمكين في الحكم والسلطة وفي قلوب الناس الحب والتكريم للمستقيمين، وإدخال الرعب في قلوب أهل الفساد والظلم، فالمؤمن المستقيم يجد الكرامة والود والقرب من الحاكم[١٣٠]، ويكون بطانته وموضع عطفه وثقته ورعاية مصالحه وتيسير أموره.

ثم تأتي رحلة المشرق فيصل إلى مكان يبرز لعين الرائي أن الشمس تطلع من خلف الأفق، ولم يحدد السياق أهو بحر أم يابسة، إلا أن القوم الذين كانوا عند مطلع الشمس كانوا في الأرض مكشوفة بحيث لا يحجبهم عند شروقها مرتفعاتجبلية أو أشجار سامقة، ولعلها كانت بعض الصحاري الممتدة أو السهول الواسعة، فالمكان لم يحدد والستر لم يعين: ﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾[١٣١] [١٣٢].

ونظرًا لوضوح سياسة ذي القرنين في الشعوب التي تمكن منها، وهو الدستور المعلن في رحلة الغرب لم يكرر هنا إعلان مبادئه، لأنها منهج حياة ودستور ودولة مترامية الأطراف وسياسة أمم فهو ملتزم بها أينما حل أو ارتحل: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾[١٣٣].

الملك الصالح يبني الجدار الذي يحمي البشرية من قوم محرومين من القدرة على الفهم والتجرد من معاني وحشيتهم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾[١٣٤].

إلا أن الرحلة الثالثة تختلف عن الرحلتين السابقتين من حيث طبيعة الأرض والتعامل مع البشر سكان المنطقة، ومن حيث الأعمال التي قام بها فلم يقتصر فيها على الأعمال الجهادية لكبح جماح الأشرار والمفسدين، بل قام بعمل عمران هائل.

أما الأرض فوعرة المسالك، وأما السكان وكان وعورة الأرض قد أثرت على طبائعهم وطريقة تخاطبهم مع غيرهم فهناك المشقة في التفاهم والمخاطبة بحيث لا يكاد الإنسان منهم يقدر على التعبير عما في نفسه، ولا أن

---

١٢٩ - يميل الدكتور عبد العليم خضر في كتابه "مفاهيم جغرافية في القصص القرآني، قصة ذي القرنين" إلى تحديد بحر إيجة وأنه البحر الغربي الذي بلغه، وأن خليج أزمير الذي يصب فيه نهر "غديس" الذي يحمل معه الأتربة والطين البركاني من الأناضول: هو العين الحمئة. انظر: ٢٤٤.

١٣٠ ينظر: جامع البيان:١٨/٩٣.

١٣١ - سورة الكهف آية: ٩٠.

١٣٢ - الستر يطلق على الحواجز الطبيعية من الجبال والأشجار، وكذلك على ما يحجب ضوء الشمس من الأمور الصناعية من بنيان وملابس، وبكل احتمال مما سبق قال بعض المفسرين، ويرجع الدكتور عبد العليم خضر أن الموضع الذي وصل إليه القرنين في جوله المشرق هي المناطق الصحراوية المطلة على المحيط الهندي وتعرف باسم "غيدروسيا" وكانت مأوى القبائل المتأخرة وكانت تغير على تخوم الدولة المجاورة فأراد ذو القرنين تأديبها وحماية حدود دولته الشرقية منهم. انظر: مفاهيم جغرافية: ٢٦٩.

١٣٣ - سورة الكهف آية: ٩٣ – ٩٤.

١٣٤ - سورة الكهف آية: ٩٣ – ٩٤.

يفقه ما يحدثه به غير بني قومه:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ ﴾[١٣٥]، إما في أسلوب التخاطب والتعامل كما أسلفنا أو من التخلف الحضاري والبدائية في العادات والمفاهيم والمصطلحات[١٣٦].

وكان أيسر طريق لإقامة السد هو ردم ما بين الجبلين أولًا بفلزات الحديد الذي تتخلله قطع الفحم والخشب، حتى إذا تساوت قمة الحديد بقمة الجبلين المتقابلين، أمر بالنفخ لإيقاد النار بالحطب الذي يتخلل الفلزات لتسخين الحديد، حتى إذا جعله نارًا لشدة احمراره وتوهجه أفرغ عليه النحاس المذاب يتخلل الحديد ويختلط به فيصبح قطعة واحدة وكتلة متماسكة وجدارًا أملس بين الجبلين[١٣٧].

ولما أنجز ذو القرنين هذا العمل الضخم الرائع، لم تأخذه نشوة البطر والغرور بل أعاد النعمة إلى مسديها، نعمة العلم والخبرة إلى واهبها، ونعمة التوفيق للعمل الصالح إلى الذي مكن له في الأرض قوله:﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ ﴾[١٣٨].

ومن إيحاء هذا الموقف العظيم وهو يطل على البناء الشامخ ومن ورائه أفواج قبائل يأجوج ومأجوج المتلاطمة وهي لا تستطيع القلب ولا النقب تذكر مصير الأرض وما عليها ومن فيها، وهذه خواطر المؤمنين المصدقين بوعد ربهم فإن مصير الأرض والجبال الدك والتدمير:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾[١٣٩]، إنها الهمة والمشاعر الإيمانية تجاه خالق السماوات والأرض المتصرف في شئون الكون ذي العزة والجبروت بيده مقاليد الأمور مصير كل شيء إليه[١٤٠].

وكان قوله تعالى:﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ﴾[١٤١]، إنه نموذج الحاكم الصالح الذي أدرك مهمته في الحياة، لقد مكن له في الأرض فجاب الآفاق لنشر العدل والخير والصلاح وقمع الشر والفساد، والأخذ على يد الظالم ومناصرة الضعيف والمظلوم، ودرء العدوان، وإقامة العمران في الأرض من غير أن يكون له حظ دنيوي في كل ذلك بل ابتغاء مرضاة ربه، وإيثارًا للدار الباقية على الفانية فلم يشغله السلطان والجاه والمال والخبرة عن ذكر الله وشكره والتطلع إلى يوم المعاد.

---

١٣٥ -سورة الكهف آية : ٩٣.

١٣٦ - ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة/ الثالثة:٤٥٨.

١٣٧ - ينظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت:٥/٢٤٤.

١٣٨ - سورة الكهف آية: ٩٨.

١٣٩ -سورة الحاقة الآيات: ١٣ – ١٥.

١٤٠ -ينظر: روح المعاني:٨/٣٥٩.

١٤١ -سورة الكهف آية: ٩٨.

وهكذا نجد الملك الصالح صاحب الهمة العالية المستعينة بالله على نشر الدعوة، ومنع الفساد المفسدين، وهكذا نرى سورة الكهف تربنا اصحاب النفوس المؤمنة والهمم العالية من الفتية الذين آووا الى الكهف بأيمانهم الى الملك الذي استعان بالله في دك حصون الظالمين ومنع ظلمهم.

الخاتمة

١. فان القارئ الذي يقرى سورة الكهف يجد كيف يوجه الله امة الرسالة الخاتمة لقيادة البشرية ويربيها على القيم التربوية العالية التي لا تستلم للأسباب المادية مهما طغت، وكيف تعمل عقلها وفكرها وتدبيرها لمواجهة هذه الأسباب.

٢. إنها تربية جند الإسلام على الهمم العالية وحسن التدبير والتخطيط، وحسن الحوار وبيان الحجة، وكيف تتحلى بالصبر والانضباط والدقة والاتياس ولا تعجز، وكيف تواجه ظلم الملوك المستبدين بحسن التدبير والتخطيط حين لا تنفع المواجهة ولا تحسن الوصول الى الأهداف، وكيف تجعل من الأسباب التي يراها الناس مخلفة للنتائج، سببا للوصول الى هذه النتائج وتحقيقها.

٣. أنها التربية القرآنية لأصحاب الرسالة الخاتمة، ليحملوا اعباءها بقوة وإيمان بالعلم والعمل والخلق، والتخطيط والنظرة البعيدة التي لا تهمل الأسباب وتسخرها لنصرة دين الله.

٤. نلاحظ هنا أن هؤلاء الفتية الذين كبرت هممهم وضحوا بكل شيء وفروا بدينهم ما زالوا في مرحلة الشباب، وهو مظنة الانشغال بالدنيا والحرص على متعها، أما هؤلاء فقد انشغلوا بدينهم منذ صغرهم ليكونوا قدوة ومثلا للشباب المؤمن في كل زمان ومكان.

٥. نجد كيف بدا المؤمن بهمة مستعلية على الدنيا وثمرها ومظاهرها، فسأله على سبيل الاستفهام الإنكاري، عن نظرته الى النظام السببي الذي تجري بمقتضاه إحداث الكون وأطواره، هل هو يؤمن بالأسباب منقطعة عن الرب الذي يخلق كل ما في إحداث كونه ضمن قنواتها.

٦. كانت توجيهات للنبي ﷺوللمؤمنين الصبر على مجالسة الفقراء وإظهار كون الحق من عند الله.

٧. الهمة العالية والعزيمة والاصرار هي التي حددتطريق الوصول الى الغاية أو الهدف الى مجمع البحرين للقاء بالمعلم مهما طال الزمن، او يمضي.

٨. فان الهمة العالية والإصرار من نبي الله موسى عليه السلام، مهما كلفه ذلك من مشقة وعناء، ومهما امضي من وقت في سبيل هذا المقد السامي، وفي هذا ما يدل على صدق وعزيمة وشدة حرصه على طلب العلم النافع والاستزادة منه وصبة أهله.

٩. من فوائد الهمة بالتحلي بالصبر والتأني والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما هو المراد منه وما هو المقصود.

١٠. الرجل الصالح ينظر إلى المسألة من زاوية أخرى، بناء على الحكمة العليا والمصلحة الآجلة، وتطبيقًا للقاعدة الشرعية المتفق عليها بين العلماء الربانيين(يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأقوى) فيذكر موسى .

١١. كانت همة الخضر عليه السلام في قتل الغلام عملية يخبر ظاهرها بقتل نفس زكية بغير نفس وينبئ باطنها بحكمة الله في إنقاذ الوالدين من الولد السيئ.

١٢. هكذا نجد الملك الصالح صاحب الهمة العالية المستعينة بالله على نشر الدعوة، ومنع الفساد المفسدين، وهكذا نرى سورة الكهف ترينا اصحاب النفوس المؤمنة والهمم العالية من الفتية الذين أووا الى الكهف بأيمانهم الى الملك الذي استعان بالله في دك حصون الظالمين ومنع ظلمهم.

Conclusion

1. The reader who reads the Surat Al-Kahf find how God directs the nation to lead the final message of human, and grows them on high educational values that do not give in to whatever the physical reasons overwhelmed, and how operate her mind and her thought to management and face these causes
2. It's breeding Soldiers of Islam on motivational high, good governance and planning, good dialogue and the statement of the argument, and how to be patient and discipline, precision and Alathias not fail, and how to face injustice Kings dictators in good management and planning, while not useful confrontation and improved access to the targets, and how do you make of the reasons that people see leaving to the results, a reason to get to this and the results will achieved.
3. They Quranic education for owners Conclusion message, to carry the burden strongly and faith, by work , creation, and far-sighted planning and that does not neglect the causes employing to support the religion of Allah.
4. Note here that these boys who grew up Hmmanm and sacrificed everything and fled to their religion ,in spite of they are still at the stage of youth . Those were busy in religion from an early age to be a role model and example for young people insured in every time and place.
5., We find how it seemed believably with high spirit to the world, and its fruit and manifestations, and asks him for the question Alancara, about his view of the system causal who taking place whereby the creation of the universe and the stages, is it believes the reasons disconnected from the Lord who creates everything in creation as being within their channels.
6. Were guidance to the Prophet and the believers patience sitting on the poor and to show that the right of God.

7. Highly motivated and determination, which are set by the access road to the end or goal to compound Bahrain to meet with the teacher no matter how long, or spend.
8. The highly motivated and insisting of God's prophet Moses , whatever tabbed it from hardship and trouble, and no matter how he spent the time in order that the estimated Commissioner, and this is evidence of the sincerity and determination of the severity of his commitment to seeking beneficial knowledge and higher than the pouring his family.
9. Elan of the benefits of patience and careful validation and lack of initiative to power the thing even knows what it is to be and what is meant.
10. The good man looks at the issue from another angle, based on the supreme wisdom and interest futures, and the application of the rule of legitimacy agreed among scientists Rabanyen (bear minimum damage to pay damage strongest) mentions Moses.
11. 11. Al-khedher were discouraged in the process of killing the boy tells the face of the murder of Zakia same without the same and foretells its interior wisdom of God in saving the parents of bad boy.

12.Thus we find the good king owner Elan high-assisted God to publication of the invitation, and to prevent corruption spoilers, so we see the cave to see owners believing soul and motivational high of boys who sheltered to the cave their faith to the king, who hired God to demolish the bastions of the oppressors and to prevent their oppression.

المصادر

١. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة/ الثانية، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. ١٧

٣. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة/ الثالثة.
٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. ٥
٥. البرهان في تناسب سور القرآن،أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب،(هـ - ١٩٩٠ م). ١١
٦. البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة/ الأولى،(١٤١٤هـ- ١٩٩٤م). ١٠
٧. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة،(١٤١٩ هـ).
٨. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة،(١٤٢٠ هـ).
٩. التصوير الفني في القرآن- سيد قطب، (دار الشروق).
١٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
١١. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة/ الأولى، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).
١٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني

(المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(١٩٩٠ م).
٦

١٣. تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي، طبع دار الكتاب العربي- دمشق.

١٤. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي(المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م). ٩

١٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة/ الثانية،(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م).

١٦. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

١٧. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة/ الأولى، (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م).

١٨. تفسير ألنسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ألنسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة/ الأولى،(١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م). ١٨

١٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر:(١٩٩٨).

٢٠. حلية طالب العلم (وهو مطبوع ضمن كتاب المجموعة العلمية)، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة/ الأولى،(١٤١٦ هـ). ١١

٢١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة / الثانية ،(١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).

٢٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة/ الأولى،(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م). ٥

٢٣. جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.٩٩٩٩

٢٤. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني،(المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة/ الثانية، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٢٥. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء(المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٢٦. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة/ الأولى،(١٤٢٢ هـ).٧

٢٧. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. ١١

٢٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. ٣

٢٩. ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دكتوراة بإشراف الأستاذ : محمد قطب ، ١٤٠٥ هـ - ١٤٠٦ هـ) ،الناشر : دار الكلمة، الطبعة : الأولى ،(١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م). ٥

٣٠. سنن النسائي،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب،الطبعة/ الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦. ٣

٣١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة/الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. ١٦

٣٢. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة/ الأولى،(١٤١٤ هـ).
٣٣. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر (١٤١٢ هـ). ١٠
٣٤. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة/ الثالثة.
٣٥. القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، الناشر: الزهراء للإعلام العربي، الطبعة/ الأولى،(١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ هـ). ١٦
٣٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة/ الثالثة، (١٤١٤ هـ). ٥
٣٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة/ الثالثة (١٤٠٧ هـ). ٧
٣٨. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة/ الثالثة ،(١٤٢٠ هـ). ٧
٣٩. معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم ،الطبعة الأولى ، (١٤٢٧-٢٠٠٦م). ١٧
٤٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة/ الأولى،(١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م). ١١
٤١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر. ٥
٤٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٣. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ).
٤٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. ١٢
٤٥. النكت والعيون ،أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٤٦. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق:الجزء ١: علي بن غازي التويجري، الجزء ٢ - ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل، الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، الطبعة: الأولى،(١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).